AL ALAM

28/4/1982

والاقتباس — كما قال هو نفسه — عبارة عن عمل قام به ضمن نشاطه في معهد الفنون الدرامية وشخصه هناك . ثم اعاد تقديمه خلال الموسم الحالي على خشبات المسارح المغربية .

واقتباس هذا العمل بالضبط ، هل يدخل في إطار التوجه الغربي الواسع للاهتمام بما يروج في بولونيا ومشاكل الديمقراطية فيها ، أم انه اهتمام وتسليط للأضواء في بعض قضايانا وقضايا عمالنا بالخارج؟... الواقع ان العمل يأخذ قيمة مختلفة عن الاخرى حسب نوعية الجواب الذي يحظى به هذا السؤال .

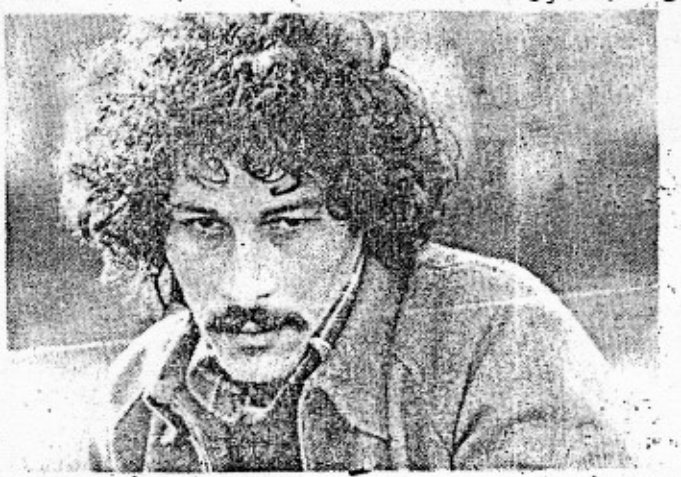

مسرحية «الوجه والقفا» هي عبارة عن مواجهة بين شخصيتين تعيشان، ظاهريا نفس الوضعية . ولكنهما في العمق تختلفان في الثقافة والطباع والاهتمامات والاسباب التي دفعت كل واحد منهما الى ان يحيا تلك الوضعية المذكورة .

انهما رجلان من جنسية واحدة (بولونية او مغربية او غيرها.. لايهم ذلك كثيرا) يعيشان في بلاد الغربة داخل غرفة تحت الارض ، في اسفل عمارة كبيرة. جدران الغرفة مزخرفة بمختلف انواع الانابيب التي تحتاجها العمارة : الغاز، الماء، مصارف المياه..

الرجل الاول (الكادح) اتى الى تلك البلاد الاجنبية ليشتغل ويجمع المال ، فيعود الى بلاده ويحقق بعض الاحلام البسيطة : بناء دار من طابق او ربما طابقين وإقامة حفل يدعو اليه من يحبهم من ابناء قريته...

والثاني مثقف هاجر رغما عنه لانه شخص غير مرغوب فيه ، يهيء كتابا عن وضعية الكادحين وطبيعتهم وهمومهم...

وتتم المواجهة بين هذين البطلين ، خلال ليلة رأس السنة ، وخلال المواقف التي تصورها المسرحية ، لتصور هذه المواجهة وضعية العمال المهاجرين من بلاد العالم الثالث الى الدول الغنية ، وحياتهم داخل حفر غير صحية ينشدون وهم حياة افضل... وتصور المواجهة ايضا حياة بعض النماذج البشرية التي قد تتخلى عن بعض انسانيتها ، لا اقول فقط راحتها ولا اقول فقط بعض قيمها... انها تتخلى عن الكثير لتتأقلم داخل واقع قاس ولتحقق داخله بعض الآمال الضيقة . هكذا يسلم الكادح في كثير من الضروريات ، ويعوض حرمانه منها في الاحلام واحلام اليقظة قبل المنام . يعوض حرمانه من الكرامة ، من الحياة الاجتماعية ، من الجنس... في سبيل جمع مقدار من المال... هذا المال الذي يجسد لديه كل شيء .

ويراقبه الآخر (المثقف) وكأنه حشرة في قفص زجاجي ، ويبني على مراقبته له دراسة يقوم بها... عن العبيد... عن رضاهم بالحضيض لوثمة... والمثقف نفسه ليس اقل منه حرمانا من الكثير...

وتتفجر الوضعية في نهاية الليلة ، حينما تصعد الخمر الى الرؤوس ويفصح كل واحد عما في نفسه . وتنفك عقدة لسان الكادح ليفصح عن فهم ليس قليل الوجاهة للواقع . ثم عندما يفرغ ما في جعبته من الآراء والتخليلات البسيطة ولكنها في نفس الوقت صائبة عن واقعهما معا، تستيقظ فيه فوبيا السلطة . هذه الفوبيا التي أفلت منها للحظات ، والتي تسكنه وتشل كل قدرة له على الفكر الحر او الفعل المنطلق... وهكذا تنتهي المسرحية بنهايتها التراجيكوميدية .

وتدور احداث هذه المسرحية كما أسلفنا في غرفة ارضية ، خلال امسية واحدة هي امسية رأس السنة . ونتعرف خلال هذه الامسية على ظروف حياة البطلين عن طريق الاسترجاع والحكاية والمقارنة والنقاش والتعاليق .

وتدوم المسرحية حوالي الساعتين ، خلالها يبقى الانتباه مشدودا الى الخشبة ، نظرا للاسلوب المثير للمسرحية والذي يتراوح بين النقاش الدرامي العنيف والحوار الساخر الذي يستعمل النكتة السوداء والتصوير الكاريكاتوري الحاد في انتقاده...

ويبقى من الضروري الاشارة الى ان المسرحية رغم جوانب الايجابية الموجودة فيها — في هذه السنين العجاف — تبقى عملا لا يخلو من بعض الهنات ونقط الضعف . ذلك مثلا ان كثيرا من المقاطع الاساسية في المسرحية (كثيرا من مفاصلها) التي يمكن ان تسخر في تعميق مخاطبة الجمهور تمر بطريقة مبتسرة وسريعة . بينما يبقى الاهتمام مركزا على المقاطع الهزلية وذات الانشداد الدرامي القوي . وهذه المقاطع نفسها يقرؤها الممثل بسرعة مما يعوق التواصل فيها .

ثم إن إيقاع المسرحية في المقطع الاخير منها يصبح سريعا ، اسرع من اللازم ، مما يجعل بعض مواقف هذا المقطع غير مقنعة : اذ لا يعطى الوقت الضروري للمتفرج لاستيعابها والاقتناع بها على جميع المستويات وخصوصا المستوى الوجداني .

ومن حسن حظ المسرحية ان دورها الغني والمهم كان هو دور الكادح الذي شخصه محمد مفتاح بجدارة ومعاناة صادقة . وهكذا ربحت المسرحية من هذا المثل ذلك الجانب السري الذي يحفظ العلاقة الحية